

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية باولو كويلو نموذجاً

د. علاء حسني المزين¹

ملخص البحث:

العلاقة بين العالم العربي والأمريكيين وبخاصة أمريكا الجنوبية علاقة متينة قد تمتد بجذورها أبعد من فترة الهجرات العربية من بلاد الشام التي تلت اكتشاف كريستوفر كولمبس لذلك العالم الجديد . فلقد ثبت تاريخياً وجود آثار هجرات عربية سبقتهم بقرون. وقد نشأت في الأمريكتين تلك الظاهرة التي عرفت في أدبنا الحديث بأدب المهاجر أو المهجر وهي الظاهرة التي أثرت الأدب العربي الحديث بإبداعات أعلام أفذاذ كإيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وفوزي المعلوف وغيرهم. من هنا فإن أثر الثقافة العربية الإسلامية في تلك البلاد أثر عميق وعريق بيد أن الدراسات التي عنيت بتتبع آثار ثقافتنا العربية الإسلامية في أدب أعلام المبدعين من أهل تلك البلاد تبدو قليلة للأسف. وأعتقد أن مثل هذه الدراسات لن تكون ذات فائدة أدبية وحسب بل ستتعدد فوائدها على صُعد متنوعة . وهذه الدراسة تحاول تتبع أثر الثقافة العربية الإسلامية في روايات الروائي البرازيلي العالمي باولو كويلو. وهي محاولة أرجو أن تستفتح باباً مستحقاً في الدراسات الأدبية المقارنة الحديثة وأن تكون بادرة تتلوها بوادر أخرى لاحقة بإذن الله

ABSTRACT

The relation between Arab world and the countries of South America continent is very old. The migration from Arab world to the new world of the two America's started in early seventeen century . Put aside the stories which tell about presence of Arabs in those areas even before Colombo's . Those areas was a cradle of a phenomenon that contributed a lot to our modern literature that was called the literature of migrants. The phenomenon that gave us big names such as Abu Madhi ,Gubran ,Maalouf and many more . The traces and influences of Islamic culture were not strange in that context but unfortunately there are few studies to follow and examine these effects in the literal works of prominent original writers specially poets and novelists . Such studies may not only help in the literal field but in many other vital fields. This paper is trying to do an effort in this way by tracing the effects of Islamic culture in the literal works of the proinent would k famous would known novelist Baulo

¹ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومدير عام المكتب الماليزي للتطوير التربوي سابقاً.

kuhilow. I hope it may open a door for other similar rsearches.

مقدمة:

إن تتبع آثار الثقافة العربية الإسلامية في مختلف البيئات، والثقافات الغابرة أو المعاصرة واستكشافها يعد - بتقديرى - ضرورة وجودية، أو واجبا حضاريا ذا أبعاد، وانعكاسات آنية، ومستقبلية بالنسبة إلينا نحن أبناء هذه الثقافة المستندة إلى ديننا الحنيف، والمعبرة عنه على صورة أو أخرى. ففضلا عن كونها تكشف لنا حدود تأثيرنا الحضارى الممتد من الماضى للحاضر، وهو ما تحرص عليه كل أمة حية، فهى ترينا آفاقا لخريطة حركتنا وعلاقتنا فى المستقبل، ومواطن الضعف أو القوة فيها، وهو أمر إن بدا مهما وحيويا لغيرنا فهو لنا نحن المسلمين أصحاب الرسالة العالمية التى تقتضينا جهدا لنشرها بين أمم الأرض قد يرقى إلى مصاف الواجبات الدينية الكفائية.

ولا شك أن جهودا محمودة تبذل هنا وهناك فى هذا الصدد، بيد أن الجهد المبذول من جانبنا لاستكشاف أدب أمريكا اللاتينية يبدو دون الحد المأمول على أهمية تلك القارة وعظم الفرص المتاحة فيها للدعوة الإسلامية من جهة، ولتنمية أواصر الصداقة مع شعوبها لكسب مساندتهم لقضايا أمتنا العادلة.

والحقيقة أن أدب أمريكا اللاتينية قد بات مهوى لكثير من الباحثين خلال السنوات الأخيرة من القرن المنصرم، وحتى يوم الناس هذا بفعل عوامل كثيرة منها ذلك الحراك السياسى النازع نحو التحرر من ربقة الهيمنة الغربية، والأمريكية فى دول تلك القارة الأمريكية الجنوبية والذى تمثل فى عدد من الثورات الملهمه التى خلدت فى ذاكرة البشرية أسماء كيجفارا، وزاباتا، وسيلفا رولا وغيرهم، ومنها تنامى اقتصادات بعض دول تلك القارة حتى غدت فى مصاف النور المتحفزة للمنافسة - أو المنافسة بالفعل عن جدارة - فى السوق العالمية، ومنها اتخذ كثير من دول القارة مواقف مؤيدة للحقوق العربية، وفى مقدمتها حقوق الشعب الفلسطينى فه برغم التسلط اليهودى المعهود ، ولوبيات اليهود النشطة ، والخطرة فى أغلب بلدان القارة ، ومنها اصطفاها - أى دول القارة - مع الدول الإسلامية عموما فى قضايا الحوار بين الشمال المتسلط والجنوب المستلب حيث تصنف القارة من دول الجنوب الفقير أو العالم النامى المتخلف ،ومنها كذلك حصول عدد من أدباء القارة على جائزة نوبل فى الآداب

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، باولو كويلو نموذجاً

كجبرائيل جارتيا ماركيز ، و بابلو نيرودا وغيرهما، ثم منها - وهو الأهم بالنسبة إلينا - تزايد النشاط الدعوى الإسلامى بفعل الصحوة الإسلامية فى دول القارة وتنمى أعداد المقبلين على الإسلام من أهلها. على أن الأصوات الأدبية المنبعثة من تلك القارة ليست غريبة على الأذن العربية، والوجدان العربى إذ ارتبطت فى ثقافتنا العربية بما عرف بأدب المهجر أو المهاجر الذى نشأ مع أفواج المهاجرين العرب الذين استقروا مبكراً بها، ونشأ فيها ما عرف بالعصبة الأندلسية التى ضمت عدداً من أدباء المهجر الذين أثروا حياتنا الأدبية بغير شك بأعمالهم ذات النكهة الخاصة المميزة، والموضوعات الطريفة، بيد أنه - وباللحجب - انشغلنا بأدب بنى جلدتنا المعجب عن استكشاف أدب مواطنيهم الذى تأثر - بغير شك - بوجود تلك الجالية العربية، وثقافتها، وهو ما سنلقى الضوء على بعض ملامحه فى هذه المقالة بعون الله تعالى.

توطئة منهجية:

لعله من الدواعى المنهجية أن نلم بمفهومي هذه الدراسة الرئيسيين قبل أن ندلف إلى صلب الموضوع حيث نلج عالم روايات باولو كويلو، ونجول فى جنباته درساً وتحليلاً لاستجلاء مدى تأثيره بالثقافة العربية الإسلامية ، ومدى ذبوع هذه الثقافة مفردات، وتصورات، وقيما، ومفاهيم فى حنايا أعماله. وأقصد بمفهومي الدراسة الأساسيين هنا: مفهوم الثقافة العربية الإسلامية من جهة، ومفهوم أدب أمريكا اللاتينية من جهة أخرى، وهما مفهومان فضفاضان بغير شك كما ترى النظرة البادئة غير أن إلمامة بكل منهما قد تكفى لإضاءة كل مفهوم إضاءة كافية، وملائمة لهذه الدراسة وهو ما نحاوله فيما يلى:

الثقافة العربية الإسلامية:

لا يحظى مصطلح (الثقافة العربية الإسلامية) بهذا التركيب الثنائى المقصود بذبوع كبير فى الدراسات الاجتماعية، أو الأدبية قياساً بمصطلحين سابقين عليه وضعا، واستخداماً هما (الثقافة الإسلامية) و(الثقافة العربية)، ولقد يبدو حين يستخدم فى سياقهما على شكل تفسير لأحدهما أو لكليهما، وهو ما يشى بأن أيا من

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، بولو كويلو نموذجاً

المصطلحين ليس جامعا مانعا للحقيقة المطلوب أن يكون عنوانا معبرا عنها، وهى تلك الثقافة الممثلة للأمة الإسلامية على اختلاف البلدان والشعوب، والمنبثقة عن الحقيقة الإسلامية، والمعبرة عن الحضارة المستندة إليها حيث يكون اختصارها في كونها حضارة عربية اختصارا مبتسرا محملا، بل ظالما على نحو ما لشعوب إسلامية أخرى أسهمت ، وتسهم في صناعة تلك الحضارة، ويكون وضعها في قالب الثقافة الإسلامية وحده مغفلا العناصر الثقافية العربية المتضمنة فيه بغير شك أو موارد، ومن هنا يكون مفهوم الثقافة العربية الإسلامية مركبا، أوضح دلالة، وأكثر شمولا.

إن التداخل إلى حد التشابك الذى لا تنفصم عراه بين ما يمكن اعتباره عناصر ثقافية ذات جذور عربية خالصة، والعناصر التى تعود إلى جذور إسلامية أصيلة تجعل من الخطأ منهجيا - فى تقديري - انفراد وصف دون آخر بالإشارة إلى تلك الظاهرة الموضوعية، ولعل هذا ما حدا بعالم كبير فى وزن الدكتور يوسف القرضاوى أن يعنون كتابا له يتناول الثقافة الإسلامية بهذا المصطلح الجامع " الثقافة العربية الإسلامية" ² ليؤكد بذلك المعنى الذى نشير إليه وهو انسجام العناصر الثقافية التى قد يرجعها البعض لجذور عربية خالصة قد لا تتضح فيها المرجعية الإسلامية مع تلك التى لا شك فى ارتباطها بالتصور الإسلامى، ولاغرو و لا مغلاة من وجهة نظر دينية خالصة إذ نعتبر أن أغلب ما يؤول إلى اعتباره تراثا عربيا هو مما سرت فيه ، أو انبثق عن ، أو تأثر بالروح الحنيفية ، دين إبراهيم ، وهو فى حقيقته الإسلام كما يعتقد المسلمون ، وهكذا فإن هذا المصطلح فى الحقيقة (يصف الثقافة التى تستند إليها هوية الأمة الإسلامية ، وتسرى فى أوصالها فتمدها بأسباب الحياة يصفها بوصفيها الممثلين لعنصرى تكوينها العروبة والإسلام)³

وعلى هذا فالتعريف الذى نظمته إليه لوصف الثقافة العربية الإسلامية هو أنها:

² يوسف القرضاوى ، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، 1994

³ علاء حسنى المزين، الاتجاه الإسلامى فى الشعر الحديث بين مصر وماليزيا ، وعلاقته بالثقافة العربية الإسلامية ، دار

النشر للجامعات ، مصر ، ط 1 ، 2010 ، مصر ، ص 34

(مجموعة القيم والمعارف والتصورات والعلوم والنظريات وطرائق السلوك التي تدور في فلك الإسلام وتستند

إلى فلسفته الشاملة، ورؤيته العامة المميزة فيما يتعلق بالكون والانسان والحياة، وعلاقة الخالق بالمخلوق)⁴

ومن هنا فإن ظهور الأسماء الإسلامية لأفراد، أو أماكن، أو هيئات ومؤسسات، وظهور المفردات الخاصة

بالثقافة الإسلامية، والمنتجات الحضارية الإسلامية علوماً، وأفكاراً، وأشياء، بالإضافة إلى بروز المفاهيم والتصورات

الإسلامية في أدب أمة ما، أو أديب معين لم يغير شك مما يشير إلى تأثير مؤكّد بثقافتنا العربية الإسلامية.

أدب أمريكا اللاتينية:

في تصديره لترجمة كتاب (أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات) أثار المصدّر إشكالية مدى إمكانية

الحديث عن أدب أمريكي لاتيني أي معبراً عن تلك القارة الواسعة بتنوعاتها مستصحبا حواراً بين أديبين أحدهما

من كوبا، والآخر من بيرو حيث أصر الأول على أنه أديب كوبي منكراً وجود أدب ذي قواسم مشتركة لكل

المنتسبين لتلك القارة بينما كان الآخر مؤيداً وجود ذلك الأدب المشترك، وعلى كل فقد انتهى المصدر بحق إلى

اعتبار أن وجود المنطقة التي يعبر عنها الأدب بوصفها كياناً تاريخياً، مع وجود العوامل ذات الطبيعة الاجتماعية

والنفسية والتي تتبلور خلال عملية تاريخية هما أمران ضروريان لوجود أدب مشترك⁵ وعلى هذا فإن الأدب

الأمريكي اللاتيني هو ذلك الأدب الذي يعبر بصفة عامة عن هموم تلك القارة ومشكلاتها وقضاياها ذات الطبيعة

العمومية العابرة للقوميات الضيقة أياً كانت - بعد - الهوية القومية للأديب، ومهما كانت درجة استغراقه في

الهموم القومية للمنطقة التي ينتمي إليها، وهو وصف يصدق - لعمرى - على كل قارة، وليس فقط على الأدب

المعبر عن هذه القارة الفتية. فما أمريكا اللاتينية؟ ولماذا هي لاتينية؟ وماذا عن أدبها؟

4 المرجع السابق ص 35

5 أحمد حسان عبد الواحد (مترجم) أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات القسم الاول سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب الكويت 1987 ص 6 ،

إن وصف تلك القارة باللاتينية يظل تعبيراً غير دقيق كما يرى سيزار فرناندث مورينو الشاعر والمفكر الأرجنتيني حيث (بدأت كل اللاتينية في اليسيوم، وهو إقليم صغير مجاور لمدينة روما، وأخذت تنمو في دوائر متحدة المركز على طول التاريخ ضمت أولاً إيطاليا كلها ثم اتسعت بعدها للجزء من أوروبا الذي استعمرته الامبراطورية الرومانية لتعود فتقتصر على البلدان والمناطق التي تتحدث بلغات مشتقة من اللاتينية وعلى هذا تصبح أمريكا اللاتينية هي الحلقة الرابعة في ذلك التوسع المدهش)⁶ ولعل تسمية القارة باللاتينية يرجع إلى أن ثلاثاً من الدول التي حققت اكتشاف القارة الجديدة وغزوها واستعمارها كانت لاتينية لغويًا وهي إسبانيا والبرتغال وفرنسا في حين أن أمريكا الشمالية قد استعمرت أساساً من قبل شعوب أنجلو سكسونية وهذا ما حدا بالبعض إلى افتراض أن هذا الوصف للقارة الجنوبية إنما جاء اختياراً استعماريًا تمييزيًا من قبل أمريكا الشمالية إبان الحقبة الاستعمارية وهو مسوغ لرفضه بهذا الاعتبار إلا أنه يجادل رأياً مقابل يرى أن شعوب أمريكا اللاتينية هي التي قبلت المصطلح تمييزاً لها خلال حروب الاستقلال عن إسبانيا، وأياً ما كان الأمر فهو وصف مقبول مستقر في عالم اليوم.⁷

وتتكون أمريكا اللاتينية حالياً من خمس وعشرين دولة ظهرت إحدى وعشرون دولة منها بعد الاستقلال حتى منتصف القرن العشرين وهي: الأرجنتين، وبوليفيا، والبرازيل، وكولومبيا، وكوستاريكا، وكوبا، وتشيلي والدومنيكان، واكوادور، وجواتيمالا، وهاتي، وهندوراس، والمكسيك، ونيكاراجوا، وبنما، والباراجواي، وبيرو، وبورتوريكو، والسلفادور، واوروجواي، وفنزويلا، إلا أن بورتوريكو ولاية حرة منضمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويحمل مواطنوها جنسية الولايات المتحدة، وبعد عام 1960 نشأت أربع دول جديدة وهي جامايكا وباربادوس وترينداد وتوباغو، وجويانا حيث تسود فيها اللغة الإنجليزية، وتعتبر جزءاً من الكومنولث البريطاني⁸ وتمتد هذه الدول

6 أحمد حسان عبد الواحد (مترجم) أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات القسم الاول سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1987 ، ص 12

7 المرجع السابق ص 12

8 أحمد حسان عبد الواحد (مترجم) أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات القسم الاول سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1987 ، ص 13

على مساحة شاسعة من الأرض تبلغ 22263000 كم مربعاً حيث تقطع البرازيل وحدها من هذه المساحة قرابة الثلث حيث تبلغ مساحتها 8512000 كم مربعاً، ومن ثم فهي أكبر دول القارة مساحة⁹، وأكثرها موارد، وأقواها اقتصاداً، ويقدر عدد السكان بما يزيد على 550 مليوناً من البشر¹⁰ وهي تضم خليطاً من الأجناس البشرية في مقدمتهم أصحاب الأرض الأصليون ممن عرفوا بالهنود الحمر ، وهي تسمية خاطئة أطلقها المستكشفون الأوائل للقارة متابعين لكولمبس الذي اعتقد حين حط رحاله على أرض القارة أنه وصل بعض جزر الهند الشرقية، وهو خطأ لم يكتشفه من بعد إلا مواطنه الجغرافي الرحالة أمريجو فيسبوتشي الذي سميت القارتان الشمالية والجنوبية باسمه تقديراً لما صنع¹¹، وللأسف تعرض هؤلاء السكان الأصليون الذين كانت لهم حضارتهم العريقة كالمايا والأزتك حين دهمهم المستكشف أو المستعمر الأوربي الجشع تعرض هؤلاء البشر لأكبر عملية سطو وإيذاء في تاريخ البشرية مما سيخلده التاريخ في صفحات سود حيث تم إفراغ الأرض منهم عمداً ليحل محلهم العنصر الثاني من العناصر الساكنة بالقارة وهو العنصر الأوربي - وإن كانت حرب الإبادة قد تفاوتت حدة عنفها بين الشمال والجنوب وذلك من قبيل الإنصاف لاغير ، وإلا فالجريمة واحدة -، ثم هناك الزنوج الذي تم استجلابهم رقيقاً مخطوفين من أفريقيا للعمل في مزارع القصب والمطاط التي امتلكها الأوربيون¹² ، (ولقد حدث تمازج عرقي استمر لعقود من الزمن بين تلك العناصر الثلاث خالفاً خليطاً من الدم والملاح حيث تمخض عنصر إنساني ما بين الهندي الأصلي والأوربي الوافد والعبيد (الزنوج) المستوردين وتفاعلت تاريخياً وموضوعياً عبر التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ونشأت قيم وعادات جديدة ضمن قانون الارتباط والتبادل والتأثير والتأثر)¹³، ثم

9 أحمد مصطفى أبو الخير ، أمريكا اللاتينية والبرازيل بحوث في اللسان والمكان وتاريخ الانسان ، دار الأصدقاء للطباعة ،

المنصورة ، 006 ، ص 6

¹⁰ المرجع السابق ، ص 27

¹¹ انظر المرجع السابق

¹² انظر المرجع السابق

¹³ بدر عبد الملك ، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية ، الرواية نموذجاً ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ص 20

هناك بالإضافة لذلك جاليات متفرقة متفاوتة الأعداد منها الجالية العربية.¹⁴ التي قدر عددها بأكثر من أربعة ملايين نسمة يعيش أكثرهم في البرازيل، وبغض النظر عن الروايات التي تقول إن العرب سبقوا كولمبس في اكتشاف الأمريكتين وهو رأى تظاهره بعض الأدلة، فإن الثابت أن الهجرات العربية قد بدأت منتصف القرن التاسع عشر وإبان الحربين العالميتين الأولى والثانية ومعظم هذه الهجرات جاءت من سورية ، ولبنان ، وفلسطين حيث تعددت الأسباب والمقاصد¹⁵ . ولقد تركت هذه الجالية العربية النشطة آثارها الثقافية على الواقع المحيط، وبخاصة الواقع الأدبي الذي يعيننا في هذه الدراسة ، وفي ذلك يقول الروائي والمفكر البرازيلي جورج أمادو: (إن الدم العربي لعب دوراً من أكبر الأدوار شأناً في ديمقراطيتنا العريقة، وفي إسهاماتنا في الثقافة العالمية، وفي نزوعنا الإنساني. لقد اندمج السوريون، واللبنانيون والعرب من البقاع الأخرى أيضاً مع البرتغالي والزنجي، ومع السلافي والأسباني في هذا الخليط العجيب الذي أنجب الإنسان البرازيلي)¹⁶

إن الأدب في أمريكا اللاتينية، وإن لم يكن تاريخياً بعيد الجذور إلا أنه، وخلال مسيرة قرن من الزمان تقريباً استطاع أن يبلور ذاته، ويثبت وجوده بحيث يصدق فيه وصف الدكتور شاكراً مصطفى لأدب البرازيل تحديداً حيث يصفه بأن فيه (نماذج غريبة مدهشة جريئة من الإبداع والمواقف التي قد لا تجدها في أى أدب آخر، إن طعماً غريباً يحمل ربا القرفة والقرنفل والاملاق المميت تفوح في هذا الأدب، وإن كتب البيض وأهل الطبقة المتوسطة أغلب صفحاته، إنه أدب يبحث عن هويته، ومسكون برغبة جامحة نحو التجديد والإبداع على صور وأنماط شتى، كما أنه أدب إنساني حتى آخر قطرة في عروقه ليس كالأدب الإنسانية الصوفية الروسية، ولا كالأدب الإنسانية

أحمد أبو الخير مصطفى ، مرجع سابق ، صفحات متفرقة ،

¹⁴ المرجع السابق

¹⁵ ، داود سلوم ، الشخصية العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، دار الجيل بيروت ن ط 1 ، 1995 ، ص 26 ، 27

¹⁶ داود سلوم ، ص 5

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، باولو كويلو نموذجاً

الشكلية الأوربية ولكن الانسانية الجلية اللصيقة بالارض وبانسان الارض، إنه أدب مخلص لنفسه، ولا نستطيع أن نعتبره نسخة من أدب آخر¹⁷

وقد احتلت الرواية على وجه الخصوص موقعا متقدما في أدب أمريكا اللاتينية، ولعل في حصول أربع أدباء من أمريكا اللاتينية على جائزة نوبل وجلهم روائيون ما يشير إلى هذه الحقيقة. ولعلنا من هذه النقطة تحديدا يمكننا أن نتقل إلى ذلك الروائي البرازيلي الذي اعتبر ظاهرة فريدة ، ونسيج وحده في السنوات العشر الأخيرة، إذ فرض وجوده في تلك الفترة القياسية على خريطة الأدب العالمي، وبيعت رواياته في مختلف أرجاء العالم، وتفاعل معها ملايين البشر، إنه الروائي البرازيلي الأشهر باولو كويلو أو كويهلو.

من باولو كويلو ؟

ولد باولو كويلو سنة 1947 في ريو دي جانيرو بالبرازيل¹⁸ ، وعاش في مقتبل حياته سنين مضطربة حتى عد مريضا نفسيا وأودعه ذوو مصحة نفسية وعمره حوالي سبعة عشر¹⁹ ، وعانى التجربة ذاتها مرتين، وقد بدأ مشواره الدراسي الجامعي بالالتحاق بكلية الهندسة لكنه لم يستطع إكمال دراسته بها ، فالتحق بكلية الحقوق ففشل في استكمالها كذلك²⁰ (وكانت هذه الفترة من أفسى الفترات التي مر بها باولو كويلو في حياته ،فقد جعلته مشتت الفكر شارداً للذهن ،فاقد الثقة بنفسه ، فاقد الإيمان بكل شئ وهذا ما جعله يعاني أزمة نفسية وينغمس في متاهات الهلوسة والجنس والمخدرات)²¹

¹⁷ شاعر مصطفى ، الادب في البرازيل ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص 8-10 بتصرف.

¹⁸ بكادى محمد ، أثر الفكر الديني في روايات باولو كويلو ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، 2011، ص21

¹⁹ المرجع السابق ، ص 26

²⁰ المرجع السابق

²¹ المرجع السابق ، ص 27

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، باولو كويلو نموذجاً

ونتيجة تلك التجربة القاسية، كانت روحه تبحث عن الخلاص من ذلك الشقاء النفسي، فانضم إلى جماعة الهيبز التي كانت منتشرة آنذاك حيث كانت تدعو إلى حرية جنسية مطلقة، وتنغمس في غيابات الهلوسة مع الأدخنة الزرقاء والسوداء هروباً بزعمهم من عذابات هذا العالم القاسى وهمومه، ومن الأسئلة الوجودية الحائرة التي لا حل لها، وبطبيعة الحال لم يجد الكاتب مفازته في تلك المزالق التي لا تمثل ومثيلاً غير سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ودرس من بعد السحر والشعوذة واطلع على الخيمياء لكن ذلك كله لم يوفر له ملاذاً آمناً ولم يخرج منه من حيرته.

وفي لحظة ما قرر كويلو أن يمارس ما يحبه ويجيده فاتجه إلى الكتابة فكتب للتلفزيون وللصحافة كما كتب أغاني أغنيات شهيرة لبعض أشهر المغنين في بلاده، وبدأ أن الكتابة بالفعل مخرج حقيقى من مأزقه الوجودى وظمأه الروحى ولكنه ظل يشعر أن حلم حياته لم يزل على قيد خطوات منه لم يمسك بتلابيبه بعد. وقد رمته محنة جديدة بعيداً عن عالم الفن والكتابة حيناً من الدهر، ولكنه خلال فترة اشتغاله بأعمال متفرقة جمع قدراً من المال جعله يفكر في القيام برحلة لاستكشاف العالم، وغاب في رحلته خمس سنوات لكنها كانت مدرسته الحقيقية التي حفزت داخله تلك الروح المبدعة، ونمت ميوله الدينية شيئاً فشيئاً وقرر الحج إلى ضريح قديس يعظمونه في ديانتهم الكاثوليكية حيث يقع الضريح في اسبانيا وفتحت تلك الرحلة الروحية أمامه آفاقاً ، فكتب وقائعها في أولى رواياته، وبعدها مباشرة كتب تاج أعماله ودرتها وهى روايته الخيمائى التي صنعت مجده، وحفرت اسمه في سجل الخالدين. يشغل باولو كويلو حالياً منصب مستشار اليونسكو للتبادل الحضارى والروحى وهو عضو في المجتمع اللغوى البرازيلى، وعضو الاكاديمية الأدبية البرازيلية، وقد حازت أعماله على كثير من الجوائز الأدبية القيمة

أعماله:

نشر باولو كويلو أول كتبه عام 1982 بعنوان "أرشيف الجحيم"، لكن هذا الكتاب لم يلاق أى نجاح يذكر. وتبعته مصيره أعمال أخرى، ثم في عام 1986 قام كويلو بالحج سيرا لضريح أحد القديسين لدى الطائفة الكاثوليكية التي

الثقافة العربية في أدب أمريكا اللاتينية ، باولو كويلو نموذجاً

ينتمي إليها كويلو، وهو القديس جيمس في كومبوستيلا. وهى الرحلة التي قام بتوثيقها فيما بعد في كتابه "الحج إلى كومبوستيلا". وفي العام التالي نشر قصة " الخيميائي "، ومن طريف ما يروى عن تلك القصة التي تمثل اليوم ظاهرة غير عادية في عالم الأدب العالمي أن الناشر كاد أن يتخلي عنها في البداية، لغرابة موضوعها وأسلوبها، ولكنها سرعان ما أصبحت من أهم الروايات البرازيلية بل العالمية.

وفيما يلي قائمة بما نشره كويلو حتى اليوم من القصص التي لاقت ذيوفاً كبيراً لا في وطنه فحسب بل في مختلف أرجاء العالم:

- حاج كومبوستيلا
- الخيميائي
- بريدا 1990 -
- فالكيريس " فتيات فالكيري" 1992 - "
- على نهر بيدرا جلست وبكيت 1994 -
- مكتوب (مجموعة قصص وأشعار كانت قد نشرت في الصحف 1994
- إتمامة النصوص الجُمليّة 1995 -
- الجبل الخامس 1996 -
- دليل محاربي الضوء 1997 -
- فيرونيكا تقرر أن تموت 1998 -
- الشیطان والسيدة بریم 2000 -
- قصص للآباء والأبناء والأحفاد " مجموعة من الحكايات الشعبية - "
- إحدى عشرة دقيقة 2003 -

- الزهير 2005 -
- كالنهر الجاري 2006 -
- ساحرة بورتوبيلو 2006 -
- الفائز يبقى وحيداً 2008

وقد باع كويلو أكثر من 75 مليون كتاب حتى الآن، وقد اعتبر أعلى الكتاب مبيعا بروايته 11 دقيقة، حتى قبل أن تطرح في الولايات المتحدة أو اليابان، و10 بلدان أخرى. واحتلت الزهير 2005 المركز الثالث في توزيع الكتب عالمياً وذلك بعد كتابي دان براون شيفرة دا فينشي، وملائكة وشياطين وتعد الخيميائي ظاهرة في عالم الكتابة، فقد وصلت إلى أعلى المبيعات في 18 دولة، وترجمت إلى 62 لغة وباعت 30 مليون نسخة في 150 دولة²²

وتتميز أعمال بولو بنزعة روحية تصوفية، ولغة موحية أقرب إلى لغة الهمس أو الحكى المباشر الذى يلامس القلوب، وهى تخاطب النفس الإنسانية محاولة أن تستنهض همة الإنسان الفرد لصناعة ذاته مؤمناً بنفسه وقدراته وإمكاناته، وهى تؤكد على فكرة الحلم الشخصى، أو مشروع الحياة الذى يفترض أن كل إنسان قد ولد مزوداً بقدرة ربانية على انجاز حلمه، وهو فقط فى حاجة إلى أن يستكشف ذلك الحلم أو المشروع الخاص به وسيجد أنه ليس فقط تكون إمكاناته الذاتية مهياً لإنجاز ذلك الحلم، ولكنه سيشعر أن عناصر الطبيعة ذاتها مهياً للتعاون معه فى تحقيق ذلك الحلم. فهل كانت تلك الفكرة المحورية فى أدب بولو كويلو صدى تأثره بالتصوف الإسلامى الذى احتك به وتعرف إليه عن قرب فى زيارته للبلاد العربية، أم أنها مجرد انعكاس لمسرة حياته الشخصية إذ لم يحقق لنفسه المجد والشهرة والغنى إلا بعد أن توجه لإنجاز مشروعه الخاص وهو كتابة الروايات بعد أن تاه من قبل فى تنفيذ مشروعات الآخرين إذ تعثر فى دراسته الجامعية وكانت مجالات الدراسة يتم اختيارها من قبل والديه لا باختياره الحر كما تعثر فى مشروعات لم تكن على ما بدا له حلم الحياة أو مشروع الحياة. إن هذه الفكرة كما قلت تمثل نطفة محورية فى أعماله جميعاً فهى شديدة الوضوح فى "الخيميائي" حيث الراعى كان لديه مشروع محدد أو حلم حياة وهو أن يعثر على كنز المخبوء بجوار الأهرامات ومن ثم ضحى بكل شئ بدءاً بقطيع أغنامه الذى

²² المرجع السابق

باعه لبيدأ رحلته، وبالحياة الرغدة التي توفرت له مع بائع الزجاج بالمغرب، وبالفرصة الذهبية التي أتاحت له لوظيفة مرموقة بالواحة، وأخيراً كانت التضحية الأكبر بالحبيبية التي وجد نفسه في حبها، وكما ضحى بالكثير من أجل حلمه تجاوز العقبات الكثيرة التي اعترضت طريقه لأنه كان يعرف طريقه جيداً وهدفه واضح. وفي قصة إحدى عشرة دقيقة كان لدى البطلة مشروع محدد أو حلم حياة وبرغم أنها فقدت السبيل إليه إلا أنه على نحو أو آخر كان محركها ذلك الحلم الذي لم يحرك البطلة فقط بل كان هو البطل الحقيقي خلف الأحداث وهي الملاحظة ذاتها التي تصدق على مختلف أعماله²³. ولعل في هذه النقطة تحديداً سرا آخر من أسرار ذبوعه وانتشاره.

كويلو والثقافة العربية الإسلامية

نود أن نسجل في البدء نقطة هامة وهي أن كويلو لم يكن أول من تأثر أو ظهر في أدبه أثر ما بالثقافة العربية الإسلامية، ولكنه يبدو الأكثر تميزاً في ذلك فلدى كثير من أدباء أمريكا اللاتينية يبدو ذلك التأثير على نحو ما، ولا ننسى أن هؤلاء الأدباء متماسون مع طائفة ليست بالقليلة من مواطنيهم من العرب الذي استقروا أجيالاً بمختلف دول أمريكا اللاتينية ولهم أنماط عيشهم الخاصة، ومميزات ثقافية التي من الضروري أن تسترعى انتباه مواطنيهم. بل لا ننسى كذلك أن عدداً من هؤلاء العرب قد انخرطوا في الحياة الأدبية كإنخراطهم في الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد التي حلوا بها وكان من هؤلاء أدباء كتبوا باللغة السائدة في القارة سواء البرتغالية أو الإسبانية كسلمون جورج وداود نصر وماريو نعمه وغيرهم²⁴ وهؤلاء بلا شك وإن كان أغلبهم مسيحيين ديانة إلا أنهم رسل الثقافة العربية الإسلامية التي تشربوها أو لأمسوها سواء مباشرة أو من خلال الآباء والأجداد، وهم من ثم إما ينقلون إلى ذلك المجتمع العناصر الثقافية العربية أو الإسلامية من خلال كتاباتهم ومحاضراتهم، أو أنهم على الأقل يشكلون حافراً للآخرين للتعرف على تلك الثقافة الغنية المعطاء.

وليس هؤلاء المهاجرون هم المصدر الأوحده لاننتقال المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية، فما لا شك فيه أن العرب قد سجلوا حضوراً واضحاً في الذهنية العالمية نتيجة ارتباط المنطقة بالقضية المركزية التي تشغل العالم أجمع وهي القضية الفلسطينية، كما أن المنطقة العربية كانت مسرحاً لأحداث في غاية الأهمية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أهمها ما عرف بحرب البترول في 1973 ثم في الحروب التي شهدتها المنطقة لاحقاً وكانت محط أنظار العالم، ولا ريب أن تلك الأحداث الساخنة تسترعى انتباه العامة ناهيك بالأدباء، وهي تثير الفضول

²³ المرجع السابق

²⁴ انظر شاكراً مصطفى الادب في البرازيل ن ص 247 وما بعدها

لمزيد من التعرف على تلك المنطقة التي تصنع الأحداث والأخبار العالمية التي لا ينحصر تأثيرها فيها بل يمتد ليشمل حتى البسطاء الذين لا يأبهون لاحداث العالم عادة.

ولقد انضاف ذلك الحضور العربي على مسرح السياسة الدولية بما أثار الفضول أو الانتباه إلى حضور قديم للثقافة العربية تتوارثه الأجيال من خلال كتب ألف ليلة وليلة والسندباد البحري وغيرها من مفردات الثقافة العربية ذات الذبوع العالمي ولقد قرر باولو كويلو أنه كان مولعاً في صغره بقصص ألف ليلة على الرغم من أنه لم يكن يفهمها كلية إلا أنه سحر بما فيها من وقائع.²⁵

ولقد زاد كويلو على ذلك بعامل آخر من عوامل التأثير المباشر وهو الزيارة والسياحة لا في المكان فقط ولكن في أجواء الزمان والمكان وطبائع البشر، فلقد زار بعض البلاد العربية ومنها مصر التي جعلها مسرحاً لكثير من أحداث روايته ذائعة الصيت الخيميائي، ولعل فكرة تلك الرواية قد نبتت واستوت جنينا على هضبة الأهرام وقد أخذته سحر القاهرة في الليل كما قرر بالفعل في إحدى مقابلاته الصحفية²⁶.

ويمكن أن نستخلص أثر الثقافة العربية الإسلامية في أدب كويلو في الجوانب التالية:

1- التأثير بالتوجه العام لمنهج الكتابة في التراث العربي

الحكاية في التراث العربي تنزع منزعا سرديا حكايا ينساب في يسر وسهولة ليصل إلى أذن القارئ ووجدانه، وهذه الخاصية تبدو من أهم ما يميز روايات كويلو وربما كانت من أهم مصادر تأثيرها الخفي، ولقد يجادل البعض بأن تلك الخاصية قد تأثر فيها الكاتب تحديداً بالارجنتينيني بورخيس وهو يصرح في غير موضع بتأثره الواضح به، لكن اعترافه الأسبق بانجذابه الشديد إلى قصص ألف ليلة وعالمها السحري، وإلى القصص العربية التي كان يقرؤها مترجمة إلى لغته مبكراً وهي من أعمال أديب برازيلي كان بدوره مولعاً بالتراث العربي، إن هذا التأثير الأسبق المستقر في أعماق الوجدان تجعلنا مطمئنين إلى ما ذهبنا إليه هنا من تأثير الكاتب في نزعه تلك في منهجه الكتابي بتأثير الثقافة العربية تحديداً، وهو يقرر ذلك بنفسه أي فيما يتعلق بنزوعه إلى الجانب السردى أكثر من نزوعه إلى هندسة الرواية على النحو المعروف المؤلف في ذلك الفن حيث يؤكد أنه يرى في الرواية (فضاءً مفتوحاً يتيح لمخيلة القارئ حرية الإسهام في تشكيله) وهو يرى أن الكاية العربية (تثق بمخيلة القارئ كونها تتوجه إلى الطفل الذي بداخله لتقول له أشياء ملموسة)²⁷.

²⁵ بكادى محمد ، أثر الفكر الديني في روايات باولو كويلو ، ص 45

²⁶ المرجع السابق

²⁷ بكادى محمد ، أثر الفكر الديني في روايات باولو كويلو ، ص 45

2- التأثر بالتصوف الإسلامي

على الرغم من أن فكرة التصوف غير مقتصرة على البيئة الإسلامية باعتبارها منزعا إنسانيا للتسامي الروحي، والتوجه نحو القيم الروحية، والتعمق في هذا السبيل إلا أننا يمكننا الزعم أن التصوف الإسلامي قد اختط لنفسه سبيلا متفردا يميزه عن مدارس التصوف التي ارتبطت بهذا الدين أو ذلك، فبقدر الحرص على الترقى في منازل السير لرب العالمين كان الحرص على الارتباط بعمق بالتوحيد بوصفه أصلا من الأصول الإسلامية الهادية، وبقدر الحرص على السر تجريدا للإخلاص كان الحرص على الوضوح هداية للناس فتراوحت اللغة الصوفية بين التكتيف الرمزي، والوضوح اللافت، ولا غرو فالتجربة الصوفية في البيئة الإسلامية لها معالم هادية في القرآن والسنة وسلوك الصحابة، وهو ما يميزها عن سواها، ويمكنني أن أزعم مطمئنا أن تلك النزعة الصوفية الواضحة في روايات باولو كويلو، وبختمه عن الإنسان واحتفاله به هي انعكاس على صورة ما لفكرة الإنسان الكامل، وهي فكرة مركزية في التصوف الإسلامي كما هو معلوم، وقد يمتد أثر التصوف الإسلامي ليشمل عددا من الأفكار كفكرة دور القلب في هداية الإنسان وهي فكرة صوفية خالصة كذلك ولها في التراث الصوفي الإسلامي موضع خاص، ومن ذلك أيضا اعتماد بعض المعارف الصوفية كفكرة الكشف والخواطر ونحو ذلك، كما نلمس ذلك التأثر كذلك في اهتمامه بالعبارات القصيرة الموحية وغير ذلك من الجوانب.

3- اختيار الأسماء والأماكن وبناء الشخصيات

تدور قصة الخيميائي في جو عربي خالص بدءا من انتقال الراعي سانتياجو إلى المغرب وانتهاء بمصر، والشخصيات بطبيعة الحال عربية كحسان الدليل وملكي صادق الحكيم العربي العجوز ومدينة سالم والحبيبة فاطمة بل ان البلدة التي عاش فيها الراعي سانتياجو بطل الرواية وهي مدينة طريف المسماة باسم القائد العربي طريف بن مالك أحد ابطال فتح أندلس لا تخلو من دلالة كذلك، ولا يقتصر ذلك على الخيميائي من أعمال باولو ولكنه توجه نرى أثره في مختلف أعماله.

وبعد فلقد أردت من وراء هذا البحث أن أؤكد على حقيقة عمق أثر الثقافة العربية الإسلامية في تلك القارة البعيدة الفتية، وفي أدب ذلك الأديب الكبير الذي فرض حضوره على خريطة الأدب العالمي ولم يستنكف إطلاقا من تأكيد تأثره بثقافتنا كما لم يستنكف من إعلان تمسكه بعقيدته الخاصة حيث دأب على تصدير رواياته بآيات من الانجيل كما لو كان يوحى إلينا بأن قصته تدور في فلك تلك الآيه وتستلهم إشاراتها. وفي هذا كله دروس بليغة لأدبائنا الذين لم يزل البعض منهم يمارى إلى اليوم في إمكانية وجود أدب إسلامي، كما هو دعوة للنقاد للاهتمام

بتتبع آثار ثقافتنا هنا وهناك لتكون حوافز لنا لجهود متضافرة مباركة في سبيل استعادة مكانة أمتنا الشاهدة في دنيا الناس.

المصادر والمراجع

- 1- أحمد حسان عبد الواحد (مترجم) أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت- 1987
- 2- بكادى مُجد، أثر الفكر الديني في روايات بولو كويلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2011
- 3- داود سلوم، الشخصية العربية في أدب أمريكا اللاتينية، دار الجيل بيروت 1995
- 4- شاعر مصطفى، الادب في البرازيل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - 1986
- 5- بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية الرواية نموذجاً، دار الكنوز الادبية - بيروت 1994
- 6- أحمد مصطفى أبو الخير، أمريكا اللاتينية والبرازيل بحوث في اللسان والمكان وتاريخ الانسان دار الاصدقاء المنصورة - 2006
- 7- بولو كويلو، الخيميائي ساحر الصحراء ترجمة بهاء طاهر، دار الهلال القاهرة ط3 - 2005
- 8- بولو كويلو، إحدى عشرة دقيقة، ترجمة ماري طوق شركة المطبوعات للتوزيع، والنشر بيروت- 2005
- 9- بولو كويلو، الراح يبقى وحيداً، ترجمة انطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع، والنشر بيروت- 2010
- بولو كويلو، الزهير، ترجمة رنا الصيفي، شركة المطبوعات للتوزيع، والنشر بيروت، 2005